اتجاهات الشعر الصوفي المديح النبوي والزهد أنموذجًا

د. الصادق ادم عمر

مستخلص البحث:

يتناول هذا البحث الأفكار العامة التي دان بها الصوفية وبنوا عليها أدبهم وشعرهم وفلسفتهم، ومدى ارتباط هذه الأفكار والتوجهات بما أنتجوه من شعر وعن المذهب الأدبي الذي اختاروه للتعبير عن خواطرهم واستعرضت التوجهات التي انفردوا بها عن غيرهم في مجال الشعر الإسلامي وأجملتها في المديح النبوي المناجاة، الحب الإلهي، والزهد والأحزاب والأوراد ومدح الشيوخ، والتوسل والاستغاثة مؤيداً كل ذلك النماذج التي استخرجتها من أثارهم الشعرية.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتوصل البحث إلى نتائج أهمها اهتمام الصوفية بالشعر وهو النافذة الأولى للتعبير عما يجيش بدواخلهم.

مقدمة:

الأدب في أصل إطلاقه صفة من صفات النفس، ثم تطور مع الزمن حتى صار متعارفاً على ما ينتجه الأديب والشاعر من آثار شعراً ونثراً يترجم عن أحاسيسه وعواطفه.

والأدب الحي هو الذي يصور عواطف الكاتب والشاعر في صدق ويترجم عن مشاعره بدقة.

ولابد للنص الأدبي حتى يكون في درجة عالية أن يستكمل عناصر اربعة[١]:

- الفكرة
- العاطفة
- الخيال
- الأسلوب

هذه هي العناصر التي تجعل النص أثراً فنياً ممتازاً.

وطبيعي أن النص الذي يصور فكرة عالية ويهدف إلى غرض نبيل يكون أجمل وقعاً، وأحسن تأنياً، وأقوى أثراً، وأدخل إلى النفوس والقلوب، والمهمة الأولى للأدب العمل على بث الصفات الكريمة والرقي بالأفكار والأخذ بأيدي الناشئة حتى يبلغوا شأنا خلقياً.

وللنظر في الآثار الصوفية على ضوء هذا الخطوط التي قدمناها لنرى هل أوفت بما اشترط الأدباء في الأدب الحي وهل كان لها هدف معين تسعى إليه أم أنها كانت شطحات لا تجمعها فكرة ولا تنديها عاطفة ولا يحلق بها خيال.

إن نظرة يلقيها الباحث على النتاج الصوفي في الشعر وأغراضه، سياحة في رياضة العبقة تجعله يقرر، وهو مطمئن أن الشعر الصوفي قد أوفى على الغاية من الجودة وبلغ الذروة في الإتقان لما يجول في ثناياه من أخيلة بديعة وما يتواثب خلاله من عواطف صادقة يكاد يحس بها ويلمسها.

وبعد ذلك ما امتاز به الصوفية أنفسهم من خصوصية في الخيال نادرة، ونفوس مشرقة وأرواح ضفافة جعلتهم يحسون إحساساً قوياً بما يقع في قلوبهم من معانٍ، وما يستلهمونه من أفكار حتى فاضت بأرقى الصور الشعرية وأبدعها،وذلك لأن الأدب الصوفي بشعره ونثره جزءاً من التصوف، كما أن الأدب الماجن بعض من المجون.

وقد يتساءل المرء إذا كان للصوفية هذا الأدب الذي تغالى في قيمته فلماذا لم يحظ من كتاب الأدب ومؤرخيه بكلمة ترسل أو رأي يقرر ؟ وهذا أمر يدعو إلى العجب حقاً.

ويرى الباحث أن السر في ذلك أنه قد وقر في أذهان الناس منذ القدم أنه لا صلة بين الأدب والدين، والصوفية دعوة دينية متطرفة فلذلك انصرفت عنها أنظار الباحثين في الأدب والمؤرخين له فكان هذا الانفصال واندفعوا يختارون ويدرسون الأدب الذي اتجه إلى الخدود والشفاه واستمدت ينابيعه من الكؤوس

والعيدان ولم يلتفتوا ناحية الأدب الصوفي، بالرغم مما يحفل به من آثار لا تقل روعة إن لم تفق ما أثر عن فحول البيان والشعر كالجاحظ وابن العميد وبشاروالبحتري والمتنبئ.

الشعرية الصوفية:

ترى الصوفية أن الكون على ثلاث مراتب:

١- علوية وهي المعقولات، وهي مرتبة للمعاني المجردة عن المواد التي من شأنها أن تدرك بالعقول.

٢- سفلية وهي المحسوسات وهي من شأنها أن تدرك بالحواس.

٣- برزخية وهي من شأنها أن تدرك بالعقل والحواس، وهي المتخيلات وهي تشكل المعاني في الصور المحسوسة، وأي مريد للصوفية سوف يجاهد للسمو من العالم السفلي المحسوس إلى العالم العلوي المعنوي بهدف المكاشفة والمشاهدة وللاتحاد بالذات الإلهية الكبرى. لكن ذلك نادراً لا يتم إلا عن طريق عالم البرزخ الذي هو تركيب من العالمين الحسي والمعنوي وهو عالم شبيه بالحلم مادام يعيشه الصوفي ذاتياً أو وفقاً لمقامه الذي استطاع الوصول إليه٢.

ويمكن القول بعبارات أخرى لأن الصوفية لا تتحقق من خلال هذا العالم المحسوس أو وفقاً لقوانينه الطبيعية، وإنما يبدأ وجودها مع عالم البرزخ الخيالي وصولاً إلى العالم المعنوي، هي بتبينها لمبدأ الرياضة والمجاهدة، غير متماثلة عند جميع الصوفيين بل أنها تؤكد على وجود موضوعي للعالم الخيالي وللعالم المعنوي٣.

وعلى تمايز طرائقهم في ذلك تأسيساً على ما سبق وحده يمكن مقاربة الشعرية الصوفية على أنها تجربة ذهنية قد ترافقها تجربة جسدية ليس غايتها التعبير عن المحسوس بأي طريقة وإنما على النقيض من ذلك.

ويرى الباحث أنه لن يكون أغفال الحديث عن الموضوعات الصوفية وتقاطعاتها مع الموضوعات العامة تقليلاً من أهميتها بقدر ما هو محاولة لإبراز سمات الشعرية الصوفية المميزة لها عن جماليات الشعر العربي المعروفة، علماً أن الصوفية اتكأت على هذا الشعر إلى أقصى حد ممكن، ثم أن القول يتماهي الشعرية الصوفية ورؤيتها لا يعني بالضرورة أن كل من تبنى هذه الرؤية هو شاعر لذلك فليس كل الصوفيين شعراء، وليس كل الشعراء الصوفيين على مستوى متماثل في الإبداع والموهبة.

ويقول الدكتور الباي: (إن من المتعارف عليه أن الشعرية الصوفية لا تطرح نظرية جمالية لما هو الشعر وكيف ينبغي أن يكون مادامت لا تولي أي أهمية لفتيته.

لذلك لأنها فيض عن رؤية وجودية للكون أكثر مما هي رغب بإيداع شعرية جديدة – وان ستبدعها فعلاً.

وإذا كانت بهذا المعنى تشكل رؤيوية مع الشعرية العربية في سموها عن الواقع الحسي، واتخاذها لعالم الخيال منطلقاً لها غير أنها لم تفعل ذلك دائماً على صعيد الكتابة الإبداعية٤.

إن معظم الشعر عن الصوفيين تحمل الأشعار الحسية دلالات معنوية قد لا تؤثر في خيال الشاعر، ولا في صياغته الفنية لامن قريب ولا من بعيد بل إن الكثير من أشعارها ليس أكثر من اقتباسات ومحاكاة شبه حرفية لأشعار الاخرين ومن غير أية خصوصية فنية تذكر، قال الشاعر٥:

هل نار ليلي بدت يوماً بذي سلم

أم بارق لاح في الزوراء فالعلم

من المفترض أن يكون هذا البيت صادر عن مرتبة البرزخ، كونه يجمع بين ما هو حسي وهو الظاهر من الكلام، وما هو معنوي وهو الظاهر المفترض لكن صياغته الفنية ليست أكثر من محاكاة تقليدية للشعر الجاهلي، فهو يذكر بمطلع معلقة عنترة إيقاعاً ووزناً وقافية، وهو يذكر باحتفاء الشعر الجاهلي بذكر الأمكنة ولا سيما الوقوف على أطلالها، أما الظاهر من معنى هذا البيت فلا يتجاوز رغبة الشعر بدعوة ليلي له.

أما في موضوع ذي سلم أو في موضع الزوراء والعلم وأما المعنى الباطني فهو ليس أكثر من تحميل دلالي لأفاظه، فتكون ليلى هي الذات الإلهية، والنار والبرق إحدى تجلياتها، ومن الملاحظ أن هذا التحميل لم يغير في بنية البيت الفنية فيبقي على حاله تقليداً ومحاكاة للشعر الجاهلي.

إن الشعر الصوفي الذي أثر عن الصوفية منه ما انفردوا بأغراضه ولم يسبقوا إلى طرق أبوابه ومنه ما شاركوا فيه غيرهم واتفقوا مع سواهم من الشعراء الآخرين وكلا النوعين قوي السبك مشرق الديباجة غزير المادة، جيد المعني، وهذا موقف في الرثاء – قل نظيره في الأدب العربي لإبن السماك يرثي داؤود الطائي٦.

يقول الدكتور زكي مبارك هورثاء فريد

عرفه قائله كيف يحدد صفات وخصائص من بكاه قال السماك (إن داؤود رحمه الله نظر بقلبه إلى ما بين يديه من خصائص أخرته فأعشى بصر القلب بصر العين، فكان كأنه لا ينظر إلى ما إليه تنظرون، وكأنكم لا تنظرون إلى ما إليه أنظر، أنتم منه تعجبون وهو منكم يعجب، فلما رآكم راغبين مذهولين مغرورين أذهلت الدنيا عقولكم وأماتت بحبها قلوبكم... استوحش منكم، فكنت إذا نظرت إليه نظرت إلى حَيّ بين أموات... يا داؤود لا تعيب الأشرار ولا تقبل من السلطان عطية ولا من الأخوان هدية، آنس ما تكون إذا كنت بالله خالياً، وأحوش ما تكون آنس ما يكون الناس، فمن سمع بمثلك وثبر صبرك، وعزم عزمك لا أحسبك إلا وقد اتعبت العابدين بعدك، سجنت نفسك في بيتك فلا محدث لك ولا جليس معك ولا فراش تحتك ولا ستر على بابك، ولا قلة برد فيها ماؤك ولا صفحة يكون فيها غذاؤك وعشاؤك، مطهرتك قلبك وقصعتك نورك٧.

هذا – لاشك – رثاء في درجة عالية من الجودة جرى على لسان صوفي من هؤلاء الذين نحاول أن نبين عن مدى أثرهم في الأدب والشعر الصوفي الذي أغفله الناس من قبل، وجمله القول أن الكتب الصوفية تقبض بالأخيلة والصور والتعابي في روعة وقوة ويزيد في جمال الأدب والشعر الصوفي أنه موصول بعلم النفس، وأن له غاية نبيلة هي غرس الأخلاق الحميدة والفاضلة في نفوس البشرية.

توجهات الشعر الصوفي:

تميز الشعر الصوفي في الأدب الإسلامي بعدد من القضايا والأغراض والموضوعات استغل بها شعراء الصوفية وتميزوا فيها وهي:

١ / المديح النبوي:

وهو من أكثر المجالات إنتاجاً وإبداعاً لدى شعراء الصوفية ويعتبره الصوفيون من أجل أبواب القربات إلى الله تعالى.

٢ / الزهد في الدنيا:

ويتمحور حديث الشعراء فيه حول الوعظ والتذكير من ناحية والحكمة الدينية من ناحية أخرى حيث يمثل الزهد أحد المقامات والطرق الموصلة إلى الله تعالى.

٣ / الحب الإلهي:

ويتمحور هذا الاتجاه أكثر المجالات وفرة وارتياداً لشعراء الصوفية، حيث اتخذوا الغرض أداة للاستعانة على بث معاني القرب والتودد إلى الذات الإلهية.

٤ / المناجاة:

ويعد هذا النوع من الشعر بمثابة سرد التجربة الشخصية في التصوف الإسلامي.

٥ / التوسل والاستغاثة:

وهما من أهم خصائص الشعر الصوفي، يهدف إلى التماس قضاء الحاجة بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم، وبغيره من الأنبياء والأولياء الصالحين عند الله.

٦ / مدح الشيوخ:

ويستهدف هذا اللون إطراء شيوخ الصوفية، وإبراز مآثرهم وكراماتهم بغرض إثبات أحقيتهم في التقديم والتبجيل.

تتلخص هذه الأغراض فيما ذكرناه، ولنأخذ في تفصيلها وعرض النماذج التي خلفوها لكل منها.

المديح النبوي:

المدح هو الإشادة والثناء بذكر محاسن الممدوح، وقد عرف المدح في الأدب العربي منذ أقدم العصور، فهو قديم قدم الشعر نفسه، وكانت وظيفة المدح دعائية بحتة، فيمدح الشاعر الرجل الحسن الأخلاق الكريم الشمائل ليلعو شأنه، وينشر اسمه بين الناس.

وقد عرف الجاهليون المدح بهذا المعنى، وكان الشاعر في الجاهلية يمدح قبيلته ويشيد بها ويرفعها بين القبائل لذلك كان العرب يعظمون الشعراء أبلغ تعظيم قال ابن رشيق في العمدة (إنما قيل الشعر إنه يرفع قدر الوضيع مثل ما يضع من قدر الشريف الكامل لأمر ظاهر غاب عن بعض الناس فتأوله أشد التأويل، وظنه مثلبة وهو منقبة، وذلك أن الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل إذا مدح به مثل ما يضع من قدر الشريف إذا اتخذه مكسباً٨.

وقد يكون المدح وليد الإعجاب، كما يصدر الهجاء عن الكراهية في بعض الأحايين فالمدح تعبير عن عاطفة كامنة في الإنسان، وقد أدرك الملوك والرؤساء مكانة الشعراء فأجزلوا لهم العطاء، وتكثر في المدح المبالغة والخروج عن المألوف وقد استحسن ذلك فيه إن كثير أشند عبد الملك بن مروان قوله:

على ابن العاصي دلاصٌ حصينه
أجاد المسدى سرجها وأذالها
يؤود ضعيف القوم حمل قتيرها
ويستضلع القدم الأشم احتمالها

أما المدح النبوي نشأ بقيام الدعوة الإسلامية شعراً يمجد الدعوة الإسلامية ويناصر صاحبها، وقد مدح بعض الشعراء النبي صلى الله عليه وسلك في هذا العصر دعاية للدين الجديد ودفاعاً وهو كالأعلام في الزمن الحاضر.

ومن الذين مدحوا النبي صلى الله عليه وسلم الأعشى ميمون بن قيس بقصيدة مطلعها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا
وعادك ما عاد السليم المسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما
تناسيت قبل اليوم خلة ممهدا

حتى يقول٩:

فآليت لا أرثي لها من كلالة
ولا من حفي حتى تلاقي محمداً
نبي يرى ما ترون ذكره
أغار لعمري في البلاد وانجدا
له صدقات ما تغب ونائل
وليس عطاء اليوم مانعه غدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم
تراحي وتلقي من فواضله يدا

وبهذا هو لا يخرج عن مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم عما يمدح به العرب رؤساوهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم يرى ما لا يراه عامة الناس وقد اشتهرو عمَّ ذكره في البلاد وهو كريم جواد.

وأيضاً قد مدح النابغة الجعدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال١٠:

أتيت رسو الله إذا جاء الهدى
ويتلو كتاباً كالمجرة نيرا
وجاهدت حتى لا أحس ومن معي
سهيلاً إذا ما لاح ثمت غورا
أقسم على التقوى وأرضى بفعلها
وكنت من النار المخوف أو جرا

وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير بقصيدته اللامية (بانت سعاد) ولا يكاد كعب يختلف كثيراً عن الأعشى في قصيدته. فقد كان كعب يهاجم الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ويهجوهم، وقد أهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دمه فاختفى وهرب في كل وجه ولما وجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لابد لاحقه أتاه داهياً راغباً بناء على إشارة أخيه بجير١١ وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم على الطريقة الجاهلية فهو لا يعدو كونه مسامح صادق القول شجاع فقال١٢:

أنبئت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول
لقد أقوم مقاماً لو يقوم به
أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد إلا أن يكون له
من الرسول بإذن الله تنويل
حتى وضعت يميني لا أنازعه
في كن ذي نفحات قبله القيل

وجاء حسان بن ثابت منافحاً ومدافعاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين والدعوة الإسلامية فهو قد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بعدة قصائد منها الهمزية التي مطلعها يقول١٣:

عفت ذات الأصابع فالجواء
إلى عذراء منزلها خلاء

والقصيدة مليئة بالمعاني الروحية وفيها يحذر الكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدافع حسان عن قصيدته في وجه الأعداء الذين رفضوا الاستجابة لنداء الله وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم الذي أيده جبريل بالقرآن كما أيده الله بالأنصار فقال١٤:

وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله لقد أرسلت عبدا
يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه
فقلتم لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد يسرت جنداً
هم الأنصار وعرضها اللقاء
لنا في كل يوم مجد
شباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا
ونضرب حين تختلط الدماء

وفي القرن الخامس الهجري أزدهر شعر المديح النبوي ولمعت أسماء بعض الشعراء الذين مدحوا النبي صلى الله عليه وسلم كالشيخ عبد الرحيم البرعي، والإمام عبد الله أبي زكريا.

وفي هذا العصر ظهر أثر التصوف في المديح النبوي فدخلت النظريات الصوفية في المديح، ومن آثار التصوف نظرية النور المحمدي بل أقول حقيقة النور المحمدي، وقول البرعي بوجود النبي صلى الله عليه وسلم قبل آدم فقال١٥:

هداية الله في الدنيا وصفوته
فيها وخيرته من ذرا ويرى
إن كان في الكون موجود وآدم
في ماء وطين حمأة لم يكن بشرا
نبوة قبل خلق الخلق سابقة
إن الإمام إمام والورا ورا

وتأثر البرعي بنظرية وحدة الوجود التي تفضي إلى أنه لولا النبي صلى الله

عليه وسلم لما كان بشر ولا انس ولا جن ولا سماء ولا أرض.

وكان شعراء المتصوفة في هذا العصر يشعرون بأن المديح ينقذهم من كل الملمات ولأن النبي صلى الله عليه وسلم هو المؤثل والملاذ، وشعراء المديح يذكرون النبي صلى الله عليه وسلم ويمدحونه في كل مناسبة ويتوسلون به، وإذا أصاب أحدهم مرض مدح النبي صلى الله عليه وسلم فأصابه الشفاء كما قال البرعي١٦:

أرياح نجد تممي إلهاباً
واقطعي طرق الحجاز ذهابا
وصلِ مسيرك بالآصائل والضحى
لنعود روح العطف منك إيابا
نعساك أن تصلي بلاد محمد
تجري رياضاً بالوفود رحابا
لمي بي وقفي قبالة وجهه
واستأذنيه وبلغيه خطابا
من عبده عبد الرحيم فإنه
من ملدم قد أزيق عذابا
من غذا لم تبق من أعضائه
إلا عظاماً قد وهت إهابا
ناداك مرتجيا بجاهك عطفه
يا خير من سمع الندا فأجابا

وفي القرن السادس الهجري جاء الزمخشري وابن العريف ولا يختلف شعر المديح في هذه الفترة عن القرن الخامس الهجري، وقد نظم في هذا العصر بعض الشعراء مديحاً في النبي صلى الله عليه وسلم شعراء لم يعرفوا بالمديح من قبل كإبن الساعاتي قال قصيدة جارى بها بانت سعاد ويبدأ فيقول١٧:

جد الغرام وزاد القيل والقال
وذو الصبابة معذور ومعزول
يا دمية الحي ما حزين لفرقتكم
دعوى ولا وجدي العذر منحول

ثم يخلص على مدح النبي صلى الله عليه وسلم فيصفه بأنه النذير البشير وأنه أضاء ظلام الكفر، وأنه شفيع مقبول الشفاعة وقد ثبتت نبوته في التوراة والإنجيل فقال١٨:

هو البشير النذير العدل شاهده
وللشهادة تجريح وتعديل
مرتل الوحي يتلوه ويدرسه
ولم يكن لكلام الله ترتيل
فسيد الرسل حقاً لا خفاء به
وشافع في جميع الناس مقبول

وشعر المديح في القرن السابع الهجري تطور حتى بلغ القمة، حين برز عدد من الشعراء النابغين مثل البوصيري وجمال الدين الصرصري، ومجد الدين الوتري وغيرهم وفي هذا العصر أصبح المديح النبوي فناً مرموقاً حتى نظم فيه الشعراء طلبا للشهرة وفي هذا العهد ظهر أثر النظريات الصوفية بصورة واضحة في المدائح النبوية.

نظرية النور المحمدي:

وهذه النظرية قديمة ولكن الصوية أولوها تأويلاً خاصاً بهم فالنور المحمدي عندهم هو الروح الإلهي الذي نفخ الله منه في آدم أو هو شيء أشبه بالفعل ونتيجة لذلك حكم مداح النبي صلى الله عليه وسلم بانه خير الناس أجمعين وأن الأنبياء أخذوا من نوره تابعون لفضله ومن ذلك قولهم:

أنت مصباح كل فضل
فما تصدر إلا عن ضوئك الأضواء١٩
وكل آي آتى الرسل الكرام بها
فإنما اتصلت من نوره بهم٢٠
وكلهم من رسول الله ملتمس
غرفا من البحر أو رشفاً من الديم٢١
كيف ترقي وقيل الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء٢٢
والمصطفى خير خلق الله كلهم
له على الرسل ترجيح وتفضيل٢٣
محمد سيد الكونين والثقلين
والفريقين من عرب ومن عجم٢٤

وقد مدح الأستاذ الشيخ عبد المحمود النبي صلى الله عليه وسلم مدحاً بليغاً من حيث الشوق والحب، وصفاته ومناقبه وكرمه، وزيارة قبره الشريف ومدينته المنورة وقبته الخضراء التي كلما هبت نسائم من نجد في السحر فتت أكباد المحبين العاشقين لرسول صلى الله عليه وسلم فقال في حبه له صلى الله عليه وسلم٢٥:

إذا جنَّ الليل أو تلألأ بارق
لدى أرضهم تحكي السحائب عبرتي
وإني من بين الأنام كأن بي
جنوناً وما بي جنون وغشية
ولكن هذا الحب في أهله له
تصرف لا يعرفه غير الأحبة

إلى أن قال:

لكونه في ذات النبي محمدٍ
غياث الورى عند الخطوب وشدة
رسول الهدى الداعي إلى الخلق كلهم
إلى خير منهاج وأشرف ملة
عظيم كريم مكرم لمحبه
ولو كان في أقصى البلاد القصية
رسول جليل فالأمين خويدم
لحضرته العليا بأرفع همة
رسول سبي كل البرية حسنه
فأمته أشواقاً ببلدة طيبة

له زارت الأملاك من ذاك السماء
وعرش وكرسي وحجب وسدرة

وهذا مدح له بأن النبي لا يدانيه من الأنبياء دانٍ لأن كل نبي من بنى آدم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو مظهر من مظاهر الروح الأعظم فنبوته ذاتية دائمة ونبوة الظاهر عرضية إلا نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فهي حقيقة الروح الأعظم فكل الأنبياء نهلوا من نوره فقال الأستاذ٢٦:

سليل النبين الكرام وسادة
حجاحجه٢٧ فاقوا على كل سادة
فما هذه الغبرا أقلت كملته
رسولاً ولا الخضراء تلك أظلت
فآياته دلت على فخره على
مكانته دنيا ويوم القيامة

وقد عبر البوصيري بمثل هذا المعنى حيث قال٢٨:

من كمل الله معناه وصورته
فلم يفته على الحالين تكميل
فهو الذي تم معناه وصورته
ثم اصطفاه حبيباً باري القسم

وقد اتخذت القصيدة النبوية موضوعات شتى، فتحدث الشعراء عن مناقب النبي صلى الله عليه وسلم ومآثره ومناقبه ومعجزاته الباهرة ووصفوا كريم أخلاقه ولطيف شمائله عبروا في أشعارهم عن تشوقهم إلى زيارة مقامه الكريم وتوسلوا ببعض تلك الأشعار، وجعلوها زلفى إلى الله تعالى وكل هذه المعاني قد تتداخل في القصيدة الواحدة، وقل أن تجد قصيدة لا تحتوي على معظمها بحيث تصبح في النهاية موضوعاً واحداً هو مدح النبي صلى الله عليه وسلم، والحنين إلى الديار المقدسة، وزيارة قبره ولثم ثراه الظاهر وقطف ثمار قربه وهي من أولى المعاني التي تطالعنا في المدائح النبوية فكثيراً ما يستهل المادح مدحته بوصف حنينه الجامع وقلبه المشوق إلى الربوع الطاهرة ومن ذلك قول الأستاذ٢٩:

إذا ماهب من نجد نسيم
به شوقاً لها وجدا أهيم
وتزكو نار شوقي في حشائي
ودمعي وهو منهمر سجوم
وحالي غير منصرف وإني
على عهد به جفني كليم

إلى أن قال:

بلاد لا تماثلها بلاد
بها الأزهار حفتها النعيم
فبلغ يا صبا نجد شجوني
لعرب طبعهم حسن سليم
وذكراهم شهي في النفوس
به التذ المسافر والمقيم
لقد عمتهم بركات مولى
له المقدار والجاه العظيم

وأيضاً أبلغ ما قاله الأستاذ الصوفي الشيخ عبد المحمود متشوقاً لتلك الديار المكرمة والمنورة بالحبيب صلى الله عليه وسلم فقال٣٠:

من طيبة الفيحاء بدت أضواء
تزري بشمس إنها لضياء
في مهجتي قد أودعت نار اشتياق
لم يكن للهيبها إطفاء
أذرت دموعاً من جفون طالما
تواتر في الزمان بكاء

إلى أن قال مادحاً النبي صلى الله عليه وسلم معدداً مناقبه وفضائله:

أضحى به روض الكمال معللاً
بندى وحسن حفه آلاء
وهو الذي اتخذ الكمال سجية
وله جميع الأنبياء أبناء
سكرت بكأس حديثه أمم كما
بأريجه فتأرجت أرجاء
وبه ففتح كل روض نوره
من أي ما فضل عليه ثناء
لا مثله شمس لدى إشراقها
كلا ولا الأقمار والأضواء

وتدور أغلب معاني المديح النبوي حول مدح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر معجزاته وهذه المعاني تمثل المتكأ الأساسي للمدحة النبوية ولذلك كان وجودها حتمياً في كل قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما قال الشاعر الصوفي ابن العريف في وصف من زار النبي صلى الله عليه وسلم فقال٣١:

شدوا الرحال وقد نالوا المنى بمنى
وكلهم بأليم الشوق قد باحا
راحت ركابهم تندي روائحها
طيباً بما طاب ذاك الوفد أشباحا
نسيم قبر المصطفى لهم
راح إذا سكروا من أجله فاحا
إنا أقمنا على شوق وعن قدر
ومن أقام على عذر كمن راحا

وقد دار شعر المديح في هذه الفترة المتأخرة حول الحنين إلى الآثار المباركة عليها وعلي وساكنها أفضل الصلاة والسلام ومن المعاني التي يندر أن يهملها الشاعر من هذه المناحي كله سلس دال على جودة الطبع وصدق التجربة.

وأيضاً تناول شعراء المتصوفة أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم المعنوية وقد يدمجون بها أحياناً بعض صفاته الحسية كما يطل علينا الأستاذ بقوله٣٢:

وله تنادي الكائنات بأسرها
هذا هو المعطاء والفتاح
هذا هو الاسماع والابصار والعقل
الذي فيه هدى ورياح
هذ هو الينبوع والبحر الذي
ما فيه سفن لا ولا ملاح
هذا الذي عجزت عن إحصاء ماله أمم
لها في نطقها افصاح

وأيضاً قد جاء بمثل هذا ابن الجنان بقوله٣٣:

من كان اشجع من اسامة في الوغى
ولدى الندى يحكي الحيا تجسيما
طلق المحيا ذو حياء ذانه
وسط الندى وزاده تعظيما
وبدت شواهد صدقه قد قست
بدر الدجى تقسيمه تقسيما
والشمس وقفت له لما رأت
وجهاً وسيماً للنبي وسيما

وقد تناول الشعراء أيضاً معجزة الإسراء والمعراج في مدحهم فهذا الأستاذ الشيخ عبد المحمود الشاعر الصوفي قال في هذا الجانب٣٤:

فأسرى به روحاً وجسماً لمفخر
إلى المسجد الأقصى رفيع المكانة
وشاهد في المعراج كل عجيبة
من الغيب بل غيب الغيوب بمقلة
وأعجب من هذا مشاهدة الذي
إليه كقاب القوس أدنى لحضرة
فمقدار عشر العشر مما له رأي
فما ابصرته أهل وحي النبوة

إلى أن وصف الخير الجزيل لمن احبوه وتعلقوا به، والخيبة والويل لمن ادبروا عنه:

فيا خيبة القوم الذين عنه أدبروا
ويا ويلهم إذا ما الجحيم تبدت
فطوبى لقوم أقبلوا بمحبة
عليه لدى يوم القضا والملمة

وقد ذكر أيضاً معجزات أخرى مثل إنشقاق القمر وحنين الجذع ومخاطبة الزراع المسموم له وتكليم الضَّب له ومجئ الأشجار إليه فقال٣٥:

فآياته دلت على فخره على
مكانته دنيا ويوم القيامة
فمنها انشقاق البدر في أرض مكة
كذاك حنين الجذع ثم بطيبة
وجاءته أشجار تجر ذيولها
ضبٌّ بحضرة أمة
وخاطبه ذاك الذراع بخيبر
بما فيه من سم بافصح قوله

ونلاحظ الحديث عن المعجزات النبوية دائماً ما ينحو الشاعر المنحى القصصي في المدائح النبوية، حتى أن أكثر أشعارهم في هذا المقام تتحول ما يشبه الشعر التعليمي الذي يفتقر إلى عمق الخيال، وحرارة الإنفعال.

ويرى الباحث أن المنحى القصصي في المدائح النبوية قد مهد الطريق لظهور قصيدة المولد النبوي الشريف في هذا العصر حين تشير الروايات في السابق أن خلفاء الموحدين كانوا يحرصون على الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وكانت حلقات المنشدين تعقد بهذه المناسبة.

وأيضاً بعض المتصوفة من الشعراء جعلوا مدائحهم ضرباً من ضروب العبادة، وذلك باتخاذها وسيلة وضراعة إلى الله وإلى النبي صلى الله عليه وسلم طالبين شفاعته وألحو في طلب هذه الشفاعة في قصائد ومقطوعات مفردة لهذا الغرض، كما جعلوا أبيات الشفاعة والتوسل عنصراً مهماً من عناصر المدحة النبوية ذيلوا بها قصائدهم كما استفتحوا بها بعضها الآخر ومن ذلك قول الأستاذ في توسله بالله تعالى بجاه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال٣٦:

يا ربنا يا ربنا يا ربنا
بمحمد وجميع من له أصحبوا
للطيبي أمنن بخير واسع
وإليك وهو به دواماً يقرب
محمود من لازال يهوى
أحمداً وله مدى الأنفاس فيه تحبب
وبه توسله إليك لكى به
يوم القيامة لا يذل ويتعب

ويقول أيضاً متوسلاً٣٧:

أرجو به مدداً يدوم وقوة
في الله توصلنا المقام الأعظما
وشفاعة يوم القيامة عندما
يخشى الفؤاد الخزي ثم جهنما
الطيبي أنظر إليه بنظرة
يحي بها روحاً وجسماً حيثما
ويكون في الدنيا متنعماً
وغداً إذا ما الحشر مار وأظلما

وهكذا يمضى الشاعر الصوفي في المدحة ملتزماً هذه الصيغة حتى نهاية القصيدة، وتختم القصيدة في كل مدحة بالتسليم والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين وذلك مثل قول الشاعر٣٨:

صلى عليك الله ما ركب سرى
أو بلبل فوق الرياض ترنما
أدقهقهت قمرية في أيكة
أولاحظت عين بلبل أنجما
وعلى جميع الآل والأصحاب من
نالو بك العليا وحازوا المغنما

ويكثرون في خاتمة المدحة أو القصيدة من الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم، كيف لا والصلاة عليه

مما يغفر الذنوب قال تعالى ((إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً))٣٩.

ويصلون على النبي بأعداد المخلوقات من طير وأشجار وأحجار وإنسان وملائكة وأنجم وبرق كل ذلك لكثرة الصلاة عليه وفي هذا يقول الأستاذ٤٠:

صلى عليك الله ما طير على
بان النقا أو في العرين ترنما
والآل والصحب الأكارم ما أمرؤ
بالحج من أحد المواقيت أحرما

وعلى كل يرى الباحث ما يراه الشعراء الذين مدحوا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لا يدانيه من الأنبياء أحد ويمدحه قد خرج شعراء الصوفية عن مألوف اللغة الشعرية لسائر الشعراء، لأن وظيفة اللغة تختلف عند كل من الشاعر الصوفي تبعاً للتباين في رؤياهما، ففي حال من اللاوعي تفقد الأشياء خصائصها السابقة في ذهن الصوفي، وتكتسب مدلولات جديدة بحيث يبدوا العالم تبعاً لتلك الأشياء، ومن هنا يمكن لنا أن نقول أننا وجدنا للشعراء المتصوفة معجماً خاصاً بهم يتسم بالروحانية الشديدة والأكثار من استعمال الكلمات التي تدل على الكثرة مثل البرق والرياح والنسيم والطير على الأيك والحجاج والزوار لبيت الله الحرام، يقرن الشاعر هذه الألفاظ عند ختمه للقصيدة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد شاعت لديهم مصطلحات بعضها فلسفي كالحلول والاتحاد والإشراق والتجلي، والفيض وهي تتصل بمفهوم التصوف.

وعلى أية حال نخلص إلى الآتي:

١- إن شعراء المتصوفة مهما قالوا في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم يرون أنهم قد قصروا في وصفه ومن ذلك قول الشاعر٤١:

وكل مديح فيه قالته ألسن
من البلغاء في أي أرض كقطرة
من البحر وسحب السماء إذا همت
بأمطارها من فوق ظهر البسيطة
أرى المدح للممدوح يكسوا خلائعاً
وأحمد يكسو المدح أنوار بهجة

٢- إن المديح النبوي يعد الغرض الأساس للشعر الصوفي، فكل ما قاله المتصوفة من شعر في وصف النبي صلى الله عليه وسلم وتعداد مآثره ومناقبه وذكر معجزاته الباهرة، لا يعدو أن يكون هو الهدف الأساسي لنظمهم الشعر.

الزهـد:

يعد الزهد غرضاً من أغراض الشعر الصوفي ويقال: (الزهد والزهادة في الدنيا، ولا يقال الزهد إلا في الدين خاصة، والزهد ضد الرغبة، والحرص على الدنيا، والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة، زهد يزهد فيها زهداً، بالفتح عند سيبويه) وزهادة فهو زاهد من قوم زهاد، وما كان زهيداً ولقد زهد يزهد منهما جميعاً وزاد " ثعلب " وزهد أيضاً بالضم.

والتزهيد في الشيء خلاف الترغيب، وزهده في الأمر رغب عنه، وفي حديث الزهري سئل عن الزهد في الدنيا فقال: (ألا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره) أراد ألا يعجز ويقصر شكره على ما رزقه الله من الحلال ولا صبره عن ترك الحرام٤٢.

(والزهد قلة الرغبة في الشيء)٤٣ ويقال زهد في الشيء وعن الشيء وفلان يتزهد أي يتعبد وقوله عز وجل ((وكانوا فيه من الزاهدين))٤٤ قال: ثعلب " اشتروه على زهد فيه "٤٥ وليس الزاهد العابد هو الذي يتغشف ويتخفف ويتلفق، فإن كثيراً ما تكون هي أوصاف الحمق والذل، ويكون لها عمل العبادة وفيها إثم المعصية، ولكن الزاهد حقاً هو من أدار في هذه الأشياء عيناً قد تعلمت النظر بحقه والإغفاء بحقه، فهذا لا يخطئ معنى الشر "٤٦.

دعا الإسلام إلى التقوى وحب الآخرة لأنها أبقى، ودعا إلى الزهد في متاع الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عندما سأله رجل عن عمل إذا عمله أحبه الله وأحبه الناس قال له:

" أزهد في الدنيا يحبك الله، وأزهد فيما عند الناس يحبك الناس "٤٧.

ويقول الإمام الغزالي " إن أردت أن يحبك الله فأزهد في الدنيا " فجعل الزهد سبباً للمحبة فمن أحبه الله فهو في أعلى الدرجات، فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا أعلى المقامات٤٨.

وكذلك قال: " اعلم أن الزهد في الدنيا من مقامات السالكين "٤٩.

يقول الإمام النووي " ترك ما لا يحتاج إليه في الدين وإن كان حلالاً والاحتقار على الكفاية والورع وترك الشبهات "٥٠.

الزهد: هو ترك كل شئ لا ينفع في الآخرة، وثقة القلب بما عند الله، كما في الحديث " ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا بإضاعة المال إنما الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق مما في يدك "٥١.

وأما من المظاهر ترك الفضول التي لا يستعان بها على طاعة الله، في مطعم ومجلس وحال ونحو ذلك كما قال الإمام أحمد " إنما هو طعام دون طعام ولباس وصبر وأيام قلائل "٥٢.

أما شعر الزهد فإن أول ما يطالعنا في شعر التصوف شعر الزهد، إذ هو عنصر أساسي من عناصر التصوف عند المسلمين، لأن المتصوف يزداد به إدراكاً وفلسفة، حيث يجعله أول درجات تصوفه لأنه خلية من رزائل الدنيا.

بدأ تطور شعر الزهد في بداية القرن الثاني الهجري، حيث أخذ المتصوفة طابعاً عن المفهوم الذي كان مردداً في العصر الأول، فبدأ بطابع التوكل والرضا، فقد عمد الزهاد إلى دخول البادية في سياحتهم، متجردين بلا زاد ولا ماء على سبيل التوكل، راضين بما يهب الله لهم من رزق وأصبح ذلك حركة ظاهرة انخرط في سلكها كثير من المسلمين، فتجردوا من العلائق واتخذوا هذا الزهد فلسفة.

أما بعد ظهور التصوف فقد تغيرت الحال بالنسبة لشعر الزهد وارتبط شعر الزهد بالعبادة والانقطاع إلى الله والعزوف عن الدنيا، وشهواتها وكل ما هو مطمع للنفس.

ولهذا لم يكن بالسودان شعر زهدي ليس بصوفي، إذ لم يصل الزهد إليه إلا عن طريق التصوف، بيد أننا نجد شعراء الطريقة السمانية يذكرون الزهد في الدنيا ويوضحون موقفهم منه ولكن يجعلون الزهد أمراً طبيعياً لما عليه المتصوف وهو في حالة انقطاعه إلى الله تعالى٥٣.

وتحدث الشيخ أحمد الطيب البشير عن فلسفة الطريقة وقال: (أول المقامات في طريق أهل التوبة لله والالتزام طاعة الله بخوف والصبر على مراد الله، والزهد فيما سوى الله٥٤.

وهو في زهدهم يكبلون سخطهم على الدنيا معتمدين في ذلك على كثير من آي القرآن إذ يورد الأستاذ الشيخ عبد المحمود مضمناً قوله تعالي: ((قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا))٥٥.

فيقول الأستاذ٥٦:

هذه الدنيا متاع قال مولانا قليل
لا تفسدوا أعمالكم بقليل كالفتيل
أهل النهى دون هذا يا نبيل أزهدوا
دنياكموا قبل ما يأتي الرحيل

فهذا تفسيره لقة متاع الدنيا الذي ورد في الآية يوضحه ويشبهه بالفتيل التي تكون في شكل نواة التمر فيطالبهم بالزهد فيها لقلتها فهي لا تستحق هذا العناء.

وقد يقتبس شعره بعض الأحاديث النبوية وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما أنا في هذه الدنيا إلا كراكب استظل بظل شجرة ثم فارقها فاستعار الراكب من الظل بقدر راحته يكون بقدر مدته التي يكون مقيماً فيها فأثبت الحديث الشريف الفائدة المؤقتة منها وأنها ليست غاية في ذاتها.

والشيخ قريب الله يصور ذلك بقوله٥٧:

ترك المسافر للدنية واجب
إذا أحبها خطأ وسورحاجب
فاترك حديث قليلها وكثيرها
أولاً فإنك في إدعائك كاذب
وعلى كلا الحالين أنت مسافر
منها وإنك للمليك لايب

فهو يدعو إلى تركها والابتعاد عنها، لأنها سور حاجب للنفس عن صفائها، ويطالب بترك الكثير منها والقليل، وهو تفكير المتصوف متخذاً من الموت سبباً لهذا الترك وهو السفر المعبر به في هذا البيت وغيره.

والمتصوفة يبنون زهدهم بالإيمان على القضاء والقدر فأغناهم إيمانهم بالتوكل بدلاً من الوقف عن أسباب الدنيا، والقناعة بدلاً من طلب المزيد من الرزق بقول الشيخ قريب الله٥٨:

توجه إلى المولى بصدق التوكل
ولا تحفلن بالغافلين وتشتغل
لعلمك أن الموت لاشك نازل
وأنك في عمر دنا فتبتل
ولا تشغلن بالناس قلبك فإنه
متى مال نحو الغير بالغير يمتلئ
وما الشغل إلا اثنان باق وزائل
عليك بما يبقى فشمر وحصل

فقد قادهم الزهد في الدنيا عن الاستغناء عن الخلق، واعتمادهم على الله وحده في تعريف أمورهم بحسن اليقين والتوكل وتجدهم في تركهم للإنشغال بما يتجهون إلى الاستفادة من الوقت بالعمل الروحي:

ويقول الأستاذ الشيخ عبد المحمود متحدثاً عن تعظيم الزهد في الدنيا حيث قال٥٩:

الزهد في الدنيا له تعظيم
عند امرء هو واصل وعليم
إنا الغنا عنها هو القصد الذي
فيه نعيم دائم ومقيم
رؤيا الإله فيالها من نعمة
ما جنة ما حورها ونعيم

ويقول أيضاً٦٠:

لو كان يدري محسب النفس والمال

سر الحقيقة لم يألوا إلى حال
فلذة المرء في هذا الحجاب لدى
أهل البصائر المنزل العالي
فإنه من ظلام في الفؤاد أتى
له في الشك أو في شرك الضال

لعل هذا ما انتهى إليه الزهد عند المتصوفة وشعرائهم ومع ذلك نلاحظ أنهم لا يطيلون فيه القصائد وأشعارهم، فهي شبه مقطوعات صغيرة يرددونها ويخرجون منها نتيجة هي أشبه بالغاية من الزهد وهو التعلق بالله، ولهذه الغاية نفسها في ذكرهم للزهد يثيرون العواطف الدينية بتقوية الإيمان في النفوس والإقلاع عن هذه الدنيا.

ومن الشعراء الذين جعلوا الزهد شفاء لهم ووجدوا فيه الصفاء الشاعر الصوفي محمد المهدي المجذوب قال عن الزهد أنه كفر عن أوجاعه وأسقامه بزهده وترهبه فيقول٦١:

انا كفرت عن آثامي بأسقامي
وبالزهد في الرياض الخوالي
وترهبت في الحياة وكنت قريع
الذنوب والأهوال
شاعر أوحى له شيخ الطريقة
زاهد قد جعل الزهد غنى
فله من رفع الجنة ألواناً صديقة
والعصا في قرب الدنيا رفيقة

وكذلك اشتهر الصوفي محمد أحمد المهدي بالتعبد والتقوى، بل الترفع والزهد حتى قيل أنه كان يمتنع عن أكل أستاذه محمد شريف لأنه كان يجري عليه من الحكومة لقوله " إنه مال الظلم إذا لم يأته الزاد من أهله اصطاد السمك من النيل وتقوت به "٦٢.

" ولم يفتأ المهدي يروض الناس عن الزهد في الدنيا ومجاهدة النفس حتى يخفف فيهم نوازع الطمع، وصرفهم عن التهالك على الملذات "٦٣.

وأرغم الإمام المهدي الناس أن يسيروا وفق المنهج الديني الذي رسمته الحكومة لهم وصبغ الحياة السودانية بصبغة الزهادة والخشونة فلا خزولا دمسق ولا حرير.

أما الشاعر الصوفي التجاني يوسف بشير تحدث عن الزهد وكيف أنه وجد في العدم والفقر سبيل الراحة والسعادة فيقول٦٤:

فليتركوا أحلامي ما نسجت
حولي من الضنك إن لم يرضهم حالي
وهبتهم من لذا ذاتي وصمت فلم
أطعم لذيذ أولم أفطم على حال
فلا غيث ولا أبقى وما رغبت
دنياي في وفرة منها وإقلال
وعشت أنعم في عدمي ويسعدني
إن تخففت من اصري وأثقالي
أولئك الناس لم أطرق حقائقهم
فما لهم بي لا أهل ولا آلي
جانب باطل أيام يزهدني
فيها خوادع ما يطفوا من الآل

فالشاعر الصوفي هذا يزهد في الدنيا ويقطع كل صلة بعالم الأغنياء متبرئاً منهم ونراه منحازاً إلى عالم الفقير، ويرى أن العدم هو طريق الراحة لأن فيه تحرير النفس من أصر الثقل المادي المعوق للإنطلاق نحو القيم الروحية.

وبهذا يمكن لنا القول أن الزهد يعد غرضاً من الأغراض والقضايا التي ناقشها الشعر الصوفي، والزهد لا يخلو من أشعار المتصوفة في قصائدهم وتوجيههم وإرشاد المريدين، فهو عنصر أساسي من عناصر الأدب الصوفي.

الخلاصة:

- شعر التصوف جاء يعبر عن أتجاه الدعوة إلى مكارم الأخلاق بمشاعر صادقة، ونوازع وجدانية في حلة رائعة البيان العربي الجميل.
- المديح النبوي والإرشاد والزهد هما الاتجاهان الاساسيان في الشعر الصوفي
- الشعر الصوفى حقق مطامح نفوس الناس وأشواق أرواحهم ومرائيء وجدانهم، ومثار عواطفهم في حلية من البيان رائعة بجودة نظمها وتخير لفظها وقوة جرسها مع دقة في التصوير ورقة في الشعور.
- الشعر الصوفي جاء أيضاً يحمل أتجاهات إنسانية وطرق أبواباً كثيرة وهي: باب الدعوة إلى مكارم الأخلاق، والسمو الروحي والإرتقاء الوجداني، ومدح فضائل الآخرين، والثناء على الله تعالي، ومدح الجمال والكمال مجسداً في شخص النبي صلي الله عليه وسلم، وكذلك أتجاه السير والسلوك إلى الله تعالي، وأخيراً باب الرثاء والحقائق والرفائق في منهج العرفان الصوفي.

المصادر والمراجع

عالم البرزخ والخيال، محي الدين بن عربي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق،ط٣، سنة ١٩٨٤ م.

١. دراسات فنية في الأدب العربي، عبد الكريم اليافي، مطبعة دمشق،١٩٦٣ م.

٢. التصوف الإسلامي، د. زكي مبارك المطبعة المصرية، بيروت، ٢٠٠٦ م.

٣. العمدة، في محاسن الشعراء وأدبه ونقده:ابن رشيق القيرواني، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،ط٣(بيروت، دار الجيل، ١٩٧٢).

٤. كتاب الأغاني، أبي فرج الأصفهاني، دار الفكر بيروت، ط١،١٠٤٧م.

٥. ديوان حسان بن ثابت، مطبعة دار الأندلس، ١٩٦٧ م.

٦. ديوان التجاني يوسف بشير، إشراقة، ط٣، مطبعة التمدن، الخرطوم.

٧. ديوان نفخ الروح في جسم الفتوح، الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم، (مطبعة نهضة مصر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م).

٨. ديوان العرف العطير والروض المطير في مدح جناب النذير البشير، الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم (مطبعة نهضة مصر، ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨ م).

٩. لسان العرب ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، ط ٢(بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧ م).

١٠. الصحاح للجوهري، دار القلم للمدارس، ص ب ١٠١٥، بيروت أحمد عبد الغفور بيطار.

١١. وحي القلم صادق الرفاعي، مكتبة الإيمان المنصورة.

١٢. سنن بن ماجة: أبو عبد الله بن يزيد القز ويني ، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).

١٣. أحياء علوم الدين للإمام الغزالي، ط دمشق سوريا.

١٤. نهاية الإرب في فنون الأدب شهاب الدين بن أحمد، الناشر وزارة الثقافة والإرشاد.

١٥. سنن الترمذي، أبو عيسي محمد بن عيسي بن سورة الترمذي، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).

١٦. ديوان شرب الكأس الأستاذ الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم،ط١ (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م، مطبعة الفجالة الجديدة).

١٧. رشفات المدام، الشيخ قريب الله أبي صالح،ط١ (م مصر الخرطوم، ١٩٥٦ م).

١٨. ديوان بن الفارض النابلسي، دكتور محمد مصطفي حلمي، دار المعارف مصر.

١٩. ديوان الروض البهيج، الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم، ط١، (١٣٧٨ هـ- ١٩٥٩ م، مطابع دار الكتاب العربي).

٢٠. الكؤوس المترعة الشيخ عبد المحمود، مطبعة العملة بالخرطوم،١٩٩٩م.

٢١. ديوان أبي بكر الشبلي، ومصطفي الشيبي، طبع بيروت، ١٩٨٩م.